الغنيمة ، ماضي الضريبة قاضي الكتيبة ، ميمون الذقيبة مأمول الرغبة .

ذكر فتح عدة من البلاد

وأقام السلطان بمخيمه ، ظافرا بمغنمه ظاهرا بكرمه ، شاكرا عرام عرمرمه ، ملهبا ضرام مخذمه ، مرويا أوار لهذمه ، وأمر أمراءه بقصد البلاد المجاورة ، وأمدهم بالضراغم المراوغة المغاورة .

فتح الناصرة وصفورية

فسار مظفر الدين كوكبوري الى الناصرة فاستباح حماها ، واستبي دماها ، وحلها واستحلها ، وازالها وأزلها ، وخف اليها واستخفها ، واستشفها وشفها ، وشافهها بشفار البواتر ، فشفه منها موارد النخائر ، واجتلى عرائسها ، واجتني مغارسها ، وجمع نفائسها ونزع ملابسها ، واستدر طيبها ، واسترد سبيها ، واستقل منها بما استقل به من كل غانية عانية • ورقيقة رقيقة • ومصابة مصيبة ، ومسبية مصبية ، ومجلوة مجلوبة ، وسالبة مسلوبة ، ودمية دامية ، وجارية لطيفة بالعذف جارية ، واسيرة من أسره ، وحاسرة عن حسره ، وثاكلة لواحدها ، وآكلة لساعدها ، وعاضة على يديها ، وفاضة ختم الدمع على خديها • وناهدة متنهدة ، وفريدة متفردة ، وناعمة شقية ، وقينة ذقية ، وعذراء مفترعة ، وحسناء منتزعة ، ومخطفة ، وقوية مستضعفة ، وعزيزة ذليلة ، وصحيحة عليلة ، وساجية عبرى ، وصاحية سكرى ، وغريرة غراء ، وظبية

ظمياء ، وغضيضة غضة ، وفضة منفضة ، وخمارة مخمورة ، وسحارة مسحورة ، ومخدرة مهتوكة ، ومروقة منهوكة ، وجاءوا بالأسارى بين يديه مقرنين في الأصفاد ، مقودين في الأقياد ، مسوقين الى السوق ، والحديد منهم في الأعناق والسوق وصفرت صفورية من سكانها فلم يوجد بها صافر ، وكان بها من الذخائر مبلغ وافر .

فتح قيسارية

وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قليج وجماعة من الأمراء الى قيسارية ، فافتتحوها بالسيف ، وسلطوا على الأنفس بها حاكمي الحتف والحيف ، وسبوا ، وحبوا وسلبوا ، وجلبوا ، وجالوا ، ونالوا ووقذوا ، وأخذوا ، واحتووا وارتووا ، وربطوا ، وضبطوا واستفادوا ، وفرسوا الفوارس ، وكنسوا الكنائس ، واستبوا الأبكار العرائس ، والعون العواذس ، وتسلمت بعدها حيفا وأرسوف ، واستولى على تلك الشموس والأقمار الكسوف والخسوف ..

فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس حاسما بحسامه داء الشرك ، مالئا بسهام الفتك جعاب الترك . تاليا آي الفتح . جاليا رأي النجح ، ووصل الى سمسطية فتسلمها ، وتعجل مغنمها . ووجد مشهد زكريا عليه السلام قد اتخذه القسوس كنيسة ، واعادوها بالصور والآلات الذفيسة أميسة . فاستخرج المصونات والمصوغات ، واستوعب العدد

والالات . وأعاده مشهدا ، ورده مسجدا ، ووضع فيه من بره بالاسلام منبرا ، وأصبح الدين به مثريا والكفر مقترا ، ثم أناخ على نابلس وناب حده غير ناب ، وطرف جده غير كاب ، وحد بأسه طرير . وناظر الدولة به قرير . وكان من قبل سلب ساكنوها من الفرنج والنصارى السكون . وأيقنوا أنهم ان اقاموا لايأمنون المنون ، فان المسلمين بها وباعمالها نهضوا اليهم في مواطنهم ، فأجفلوا من مساكنهم ، وانتقلوا من أماكنهم ، وخلوا دورهم وأخلوها ، وتسللوا منها وسلوها ، وتحول الاقوياء الى قلعتها ، وتحصنوا بتلعتها . ونازلها حسام الدين وحاصرها . وطال عليه حصرها وصابرها ، ولم يزل عليها مقيما. ولقتالها مديما ، الى أن وثقوا بأمانه ، وعلقوا باحسانه . وسلموا وسلموا . واستأمنوا وأمنوا ، وخلصت له نابلس واعمالها . وحليت به احوالها . ولكون معظم اهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين ، لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم الا ان يكونوا لحصنهم مسلمين ، فاذمحى بالسعود رسم النحوس . ونزعنا عنها لبوس البوس ، واستبشرت وجوه اهلها بعد العبوس . وقام جاه الآذان وانكسر ناموس الناقوس .

فتح الفولة وغيرها

وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها . واملاها بالرجال والعدد واشحنها . وهي للداوية حصن حصين . ومكان مكين وركن ركين . وفيها مشتاهم ومصيفهم . ومقراهم ومضيفهم . ومربط خيولهم . ومجر نيولهم . ومجرى سيولهم . ومجمع اخوانهم . ومشروع شيطانهم . وموضع صلبانهم . ومورد حمتهم . وموقد جمرتهم . فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم الى مصرعهم . واثقين بأن الكدر لا يتمكن من صفو مشرعهم . فلما كسروا واسروا . وخسروا وتحسروا . خلت طلول الفولة . بحدود

اهلها المفلولة . وماء داويتها المطلولة . ولم يجتمع شمل غمودها بالسيوف المسلولة . ولم يبق بها الا رعايا رعاع . وغلمان واتباع . واشياع شعاع . فعدموا مكان حماية المكان . ووجدوا امنهم في الاستئمان . فسلموا الحصن بما فيه الى السلطان . وكانت فيه اخاير الذخائر . ونفائس الأعلاق . فوثقوا بما احكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين . ودخلوا في الذمام لاجين . وللسلامة راجين . وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجينين وزرعين والطور واللجون . وبيسان والقيمون . وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات . والزيب ومعليا والبعنة واسكندورنة ومذوات .

فتح تبنين

ولما خلصت تلك الممالك والأعمال ، وقلصت من الضلال تلك الظلال ، وصفت الممالك ، ووفت المدارك ، أوعز السلطان الى ابن أخيه الملك المظفر عمر ابن شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن تبنين ، وأن يتوكل على الله فيه ويستعين ، فالقى عليه جران بأسه ، ولقي بالتذليل حران ناسه ، وأخذ في مضايقته بأنفاسه ، ولمح مالمع من قبس فتحه فشفعت باقتباسه ، وسنح له قنصه فاشرأب باقتناصه وافتراسه ، وكتب الى السلطان يبعثه على الوصول اليه بعسكره ، والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره ، فضرب الكوس ، وسمت النفوس ، والنهوض في ظلام القتام من الترك والترائك الأقمار والشموس ، واشتعلت من شبيب البيارق في شعاع تلك البوارق الرؤوس ، وتحرك السواد كمهيل الذقا ، واشتبك على الآساد غيل القنا ، وسالت الاودية بالسابحات العتاق ، وطالت على السير أعناق الاعناق ، ومالت الى الرقاب الغلاظ من أهل الكفر رقاب الرقاق ، وجرت الفجاج ، وتموجت الأفواج ، وتفوجت الأمواج وتحركت غدران السوابغ ، من رياح السوابق ، وتدركت ضوامن الضوامر بالأرفاد في ارداف الحق اللاحق ، وأسفر من بريق

البيض والبيض فلق الفيالق ، وترنمت الصواهل ، وترنحت الذوابل وساح الساحل ، وراح الراحل ، ووصلنا الى تبنين في ثلاث مراحل ، فرمينا أهل التثليث فيها بثالثة الاثافي ، وأوطأناهم بشفاه الشفار على حدود الاشافي ، ونزلنا عليها بالذوازل ، وبسطنا من المجانيق عليها أيدي الغوائل ، فتبلدوا من الرعب ، وتجلدوا على الحرب ، ثم خاروا وحاروا ، وجأروا وجاروا ، ورغبوا ورهبوا ، وصحوا من سكر الجماح وأصبحوا ، وعجزوا فجزعوا ، وفزهم الحصر وفزعوا ، وشكوا الندوب.وندبوا فداذوا وبذوا ، وأذغذوا إذعنوا ، واعتذروا مما جذوا ، وراسلوا السلطان ،وسألوا الأمان ، واستمهلوا خمسة ايام لينزلوا بأموالهم فأمهلوا ، وبذلوا رهائن من مقدميهم ووفوا بما بذلوا ، واقلع من بالقلعة عن الجهلة ، وتعلق لبت العلق بالمهلة ، وتقربوا باطلاق الاسارى المسلمين ، فخرج المأسورون مسرورين ، وأصبح الصحب المكسورين مجبورين ، محبوين بالفرج بعد الشدة محبورين ، وسر بهم السلطان وسر بهم ، وأقرهم وقربهم ، وكساهم وحباهم ، وآتاهم بعد ردهم الى مغانيهم غناهم ، وهذا دأبه في كل بلد يفتحه وملك يربحه ، أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها ، ويعيد بعد عدمها وجودها ، ويحيي بعد اليأس آمالها ، ويوسع أرزاقها بعدما أجال عليها ضيق الأسر آجالها ، فخلص تلك السنة من الأسر أكثر من عشرين ألف اسير للقيود الف ، ووقع في أسرنا من الكفار مائة الف ، ولما خلوا القلعة ، وأخلوا البقعة ، سيرهم ومعهم من العسكر المنصور ، من أوصلهم الى صور ، ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدووي ، فأرشد به ذلك الصقع الغوي ، فان أعمال جبل عاملة مجبولة على الشر ، وأهلها وان كانوا مسلمين كانوا أعوانا لأهل الكفر ، فوصى سنقر بتأنيس النافر ، وتعكيس الكافر ، وتأليف الجافل ، وتعريف الجاهل ، وقال له تبني بتبنين ماهدم بالمنجنيق ، وتجد لسورها وخندقها كل مايمكن من التوثيق والتعميق ، ورحل ومعه رفيق التوفيق ، وكان النزول على تبنين يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى وتسلمها يوم الأحد الثامن عشر منه .

فتح صيدا

يوم الأربعاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى يوم النزول عليها . وسنحت له صيدا فتصدى لصيدها ، وكانت همته في قيدها وبادرها اشفاقا من مكر العداة وكيدها ، وسرنا وسرنا مرتاح ، ونصرنا متاح ، والجد جديد والمزاح مزاح والعزم جزم ، والحكم حتم ، ونفحات الفتوح لمناشق أهل الهدى تفوح ، ونفحات الردى لأعين العدى تلوح ، ونص النصر قد تنزل ، وقصد الصدق قد تعدل ، وفكر الكفر قد توزع ، وشرك الشرك قد تقطع وتقلع ، وظل الظفر ضاف ، وسر السرور غير خاف ، والقدر عون والمعين قادر ، والنظر سعيد والسعد ناظر ، وأوجهنا وأوجه البشائر باشر ، وقد جفت أجفانها البواتر الواترة ، وجلت دياجير الدقع من لمعان الحديد السوافر الوافرة ، واتصلت للممالك من الملائك أمداد النصرة المتواتية المتواترة ، ووصلنا في يومين الى صيداء الى منهل فتحها صادين ، وعن حمي الحق دونها لأهل الباطل صادين ، ولما نزلنا من الوعز الى السهل سهل ماتوعر ، وصفا من الأمر ماظن أنه تكدر ، فصرفنا الأعنة الى صرفند ، وأسمنا في مسارحها الجند ، وهي مدينة لطيفة على الساحل ، مورودة المناهل ، ذات بساتين ، وأزهار ورياحين ، وأشجار النارنج والأترنج ، تعرب مسراتها لجناتها عن أشجان الفرنج ، فجسنا خلالها ، وكل قلب مشغول خلالها ، وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية ، وقرتنا بما اشتهينا من فواكهها تلك القرية ، ولم نعرج عليها حتى خيمنا على صيدا وقد حصلنا على صيدها ، وخلصنا من كيدها ، وانطلقت همنا من قيدها ، فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها ، واذهبنا ظلماتها من العزائم الغر بمصابيحها وطلعت الراية الصفراء باليد البيضاء على سورها ، وجلت غياهب تلك المذاهب بنورها ، وفتحت أبوابها ، وأنجحت آرابها ، وعادت معالمها

مأهولة ، بعد أن كانت مقفرة مجهولة ، وصدح منبرها ، وصدق مفخرها ، وربح متجرها ، ووضح منظرها ، وأقيمت بها الجمعة والجماعة ، واستديمت بها بعد العصيان لله الطاعة ،

فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشري جمادي الاول وتسلمها يوم الخميس التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صيداء وتبنين ، وجمع لهما التحصين والتحسين ، قال لعصمة الله شيدي مابصيدا وتبنين تبنين ، والحفيهما رداء الحماية فما يضيع ماتحفظين ، ولايطرق ماتحمين ، ثم صرف عنانه ، وارهف سنانه ، ورحل على سمت بيروت ، مالئا بعسكره الآكام والمروت ، وسار على الساحل ، بتلك الجحافل ، يجر على البحر مائج ، ومجر مجر الى الهياج هائج ، ونقد من عقد الجد رائج ، وعزم على صدق القصد عائج ، ووصل اليها ونزل عليها ، وبنيت القباب ، وطفا على خضم المعسكر من الخيم الحباب ، وزحف الى الأعداء الاخباب ، وضويق البلد ، وفورق الجلد ، وأحاط الرجال بأرجائه ، ورجمت بشهب النصال شياطين الضلال في سمائه ، وانقضت نجوم السهام من أبراجه ، وتلاطم عباب ذلك الجمع الجم بأمواج أفواجه ، وترجل دونه الناس ، وتعجل نحوه الباس ، واصطفت التراس ، واشتد المراس ، واحتد القتال ، واحتدم النزال ، وامتد المصاع والمصال ، واتصل خروج الجروخ للجروح ، ودام احتراق الروح على اقتراح القروح ، ومدت الجفاتي ، كأنها أعناق البخاتي ، وأتى العاتي وعتا الآتي ، وأحمد النصر الموافي المواتي ، ودارت كؤوس المنايا للأرواح بخذي

وهاتي ، وطارت القوارير ، وثارت المساعير ، واشتعل الذفط ، واشتغل الرهط ، والتهم الزارق والتهب الحراق ، ومرق الشهم الكمي ، مروق السهم من الرمي ، وأتي الوادي فطم على القرى ، ودبت الدبابة بليوث الرجال ، وصبت الصبابة غيوث النبال ، وارتجزت رواعد الأبطال ، وأنجزت مواعد الآجال ، وجالت في الضمائر ضوامر الأوجال ، وهالت بالذوازل ذوازي الأهوال ، ورعدت بوارق البوار ، واسعدت الأقدار ، بالأقدار ، وشغلت الرقاب، قواضي القواضب ، وحملت الذواكب على المناكب ، وخفت للأثقال اكتاف الفتاك ، وهتكت ستائر السور فوهت أشراك الأشراك ، ودام القتال اياما ، يتضاعف اصطلاء واصطلاما ، ويتظاهر اضطرابا واضطراما ، وبنات الحنايا هائجة ، وأمات المنايا ناتجة ، ورجمت بشهب الذفاطات شياطين الداوية المردة ، وتعادت الأسود العادية ، على أولئك القردة ، حتى خرق الخندق وطرق ، وعلق الذقاب بالسور فذقب وعلق ، وكاد الذقب يتسع ، والبرج يقع ، والجدار ينقض ، والحجار بالحجار تذفض وترفض ، وسوار السور ينكسر ، وقناع الذقع لاينحسر ، وخرج من البلد رجال ، الى الموت عجال ، وقفوا دون الباشورة مباشرين ، ولمعاشر أصحابنا بمعاطاة كؤوس المنون معاشرين ، فتلاقوا بسلام السلام ، وكلام الكلام ، وتصافحوا بالصفائح ، وتجاروا بالجرائح ، وتواصلوا بالقواطع ،وتعانقوا بالمقامع ، وتصارعوا على المصارع ، وتجلدوا وتجالدوا وتواقحوا وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا ، والبيض يقد ، والبيض تقد ، والباسل يرد ، والباس يرد ، والصقيل الصادي يصدأ بالدم ويروي ، وحزب الكفر يضعف وحزب الاسلام يقوى ، ثم انحصروا في البلد ، وانحشروا على اللد ، وضافهم الرعب ، وضاق بهم الرحب ، وذلوا وخاروا ، وضلوا وحاروا ، ولما خام المقاتلة وخذلوا ، ظن أهل بيروت ان المسلمين دخلوا ، فأجفلوا الى البحر اذ عدموا سكينتهم ، ليركبوا سفينتهم ، ويخلوا مدينتهم ، فخرج أحد المقدمين يستدعي الأمان ، ويستعدي الايمان ، ويطلب مثالا يعصمهم ، وذماما

يحرمهم ، وعهدا يسلمون به ويسلمهم ، وعقدا في عقد الأمن ينظمهم ، وكنت يومئذ في مرض قد أزعجني وأعجزني ، ومضض أجفاني ولعيون العواد ابرزني ، واذقطعت عن الحضور عند السلطان وضعفت عن تحرير كتاب الأمان ، فطلب السلطان كل كاتب في ديواني ، وكل من يمسك قلما من أفاضل الملك وأعيانه ، فلم يرضه ماكتبوه ، ولم يكفه مارتبوه فجاءني في تلك الحالة من استملاه مني ومرضت اذهان الأصحاء ولم يمرض ذهني ، فتسلم بيروت بخطي وأصبحوا وأنا الآخذ والمعطي ، وكان الناس قد اذسوا بما اسطره وأزبره ، وأذسوا سوى ماأذكره واحبره ، وألفوا الصحة فيه فألفوه ، ولقوا السقم في غيره فأذفوه ، فلم يكن في ذلك التوقيع تعويق ، بل كله بتوفيق من الله توثيق ، فما فتح الا بمفتاحه ، ولارتق فتق الا باصلاحه ، ولاجلي ظلام الا باصباحه ، ولاوري زند الا باقتداحه ، وكانت يومئذ جمرة الحر متوهجة ، ووقدة القيظ متأججة ، وضرم مرضي ملتهب ، وروح روحي منتهبا ، وبقيت مضطربا ، ولقيت من ذلك الوصب نصبا ٠ وحصلت من الاقامة أو السفر على الخطر أو الحذر ، وتعذر المقام لعذر السقام ، واشتغلت عن الاء شغلي بالآلام.

وحملني اختلالي بنصبي ، على اخلالي بمنصبي ، وعزت علي مفارقة السلطان ، وهو باعزازي على مواصلة الاحسان ، فمضيت على مضض وانصرفت بمضرة ومرض ، وحملت الى دمشق في محفة ، وحصلت بفضل الله من طيب هوائها بعد الثقل ، بخفة ، فتفضل الله بالشفاء ، وبدل الكدر بالصفاء ، وعدت الى السلطان يوم فتح القدس ، وانتهت الوحشة الى الأنس ، وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الأولى مطاع الأمر ، مذاع السر في تضوع الذشر ٠ وتوضح البشر ، مستفيض الزيادة ، ناجح الارادة ، راجح العبادة ، رابح المتجر ، واضح المفخر ، قد شب غرب الهدى ، وجب غارب العدى واستجدى من من الله منحا ، واستجد باستفتاحه فتحا ، واستفاد ملكا ، واستزاد ملكا ، وبر بيروت اذ برت ، وحفلت له اخلاف

الفتوحات فدرت • واستمرى صوب من عزائمه وصرائمه فاستمرت .

فتح جبيل

يوم الثلاثاء سابع عشري جمادى الأولى

ووصل كتاب الصفي ابن القابض . وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق الى الكافي الناهض . يتضمن ان اوك صاحب جبيل أسر اليه في أسره . واستشاره في أمره . وقال له ان قنع مني بتسليم جبيل سلمت وسلمت . وابحتها لكم وتحرمت . واخرجتها من عصمتي وخرجت واعتصمت . فأنا اطلقها ان اطلقت . وأزيلها من وثاقي اذا وثقت . فأجيب باحترازه من كيده . واحضاره في قيده . فأحضر في صفده وسمح ببلده . فخلص ناجيا وملص راجيا . وملكت مدينة جبيل وجرت عليها الفتوح الذيل . ونحن يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون . ولاعداء الله مصابرون مكابرون . وكان معظم اهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين . مساكين لساكنة الفرنج مستسلمين . فذاقوا العزة بعد الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة . وصدقت البشائر . وصدحت المنابر . وترنمت المحاريب . وترنحت المطاريب . وتليت الآيات . وجليت الغيايات . وخربت الكنائس . وعمرت المدارس وظهر غيب البيع . وشهر جمع اجمع . وقرىء القرآن . واستشاط الشيطان . ونطقت الأعواد . وحقت الأعياد . وخرست النواقيس . وبطلت النواميس . ورفع المسلمون رؤوسهم وعرفوا نفوسهم . وانتعشوا من شكاة عثارهم . وانتفشوا من شوكة عارهم . وقروا في ديارهم . وقروا ابصار بأنصارهم . وكان كل من استأمن من الكفار . يمضي الى صور محمي الذمار . وصارت

صور عش غشهم . ووكر مكرهم . وملجأ طريدهم . ومنجا شريدهم . ومأمن خاشيهم . ومكمن عاشيهم . وهي التي فر القومص اليها يوم كسرتهم . بل يوم حسرتهم .

ذكر هلاك القومص ودخول المركيس الى صور

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلاها . وآوى الى طرابلس وتوافى . فما متع بما ملك . وكان مما قيل :

راح يبغي نجوة من هلاك فهلك

فما انجاه الفرار من القضاء . وفر من البلاء الى بلاده فوقع في البلاء. وظن ان صور خلت . وان مجانيها حلت . وان جماحها اذعن . وان كفاحها امكن. وان فرصتها انتهزت . وان حصتها احرزت . وان قيادها اطاع . وان مرتادها استطاع لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس . كما يتعوض عن الشيطان بابليس . فادرك ذماء الكفر بعدما اشفى . وايقظ روع الروع بعدما اغفى . وضبط صور بمن فيها . من مهزموي الفرنج وبمنفييها . وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر واغوى شياطينه . وأضرى سراحينه . وأخبث ذئابه . وانجس كلابه . وأنهش صلاله . وافحش ضلاله . وأعوى اعوانه . وأخون اخوانه . وأبغى بغاته . وأجفى جفاته . وأرعى حماته . وأحمى رعاته . وشر شراره . وأذكر نكاره . وأفجر فجاره . وأروغ ثعالبه . والسب عقاربه . وأحنث معاهديه . وأذكث معاقديه . وهو الطاغية الداهية . الذي خلقت له ولأمثاله الهاوية . ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام . ولا خلف مقدمي الكفر غيره في الاقدام على خلاف الاسلام . واتفق وصوله الى ميناء عكا وهو بفتحها جاهل . وعمن فيها من المسلمين ذاهل . فعزم على ارساء الشيني بالمينا . ثم

الموثقة ويبرمه . ويجمع المفرق وينظمه . وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته . وما فات من فرصه الامكان في دفع آفاته .

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة. ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل . ثنى عنانه يجر ويجري من العسكر والعثير على السماء والأرض النيل والسيل . وعاد عابرا على صيدا وصرفند . وقد اورى فيهما باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها . غير مكترث بأمرها . ولا متحدث في حصرها . ولا معتقد في تعقدها . ولا متئد في توردها . وعلم ايضا انها ممتنعة . وعن سومها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس يالساحل بلد منها أحصن . فعطف الأعنة الى ما هو منها أهون . وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية . متى تمكن باعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صور الى صور . والمركيس ما شك انه بها محسور محصور . فلما أرخي من وثاقه . واتسع ضيق خناقه . حلق في مطار اوطاره . وحرك لغواته أوتار أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل . وحل معاقد المعاقل . وسل قواصم القواصل . ونزل عسقلان . وشديدها قد لان . وقد آتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت أسودها الخادرة من الاصحار . وتربصوا وتصبروا . وتترسوا وتستروا . وحاصوا وصاحوا . وحاذوا وناحوا . وابلسوا واسبلوا . واعولوا مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت

الموثقة ويبرمه . ويجمع المفرق وينظمه . وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته . وما فات من فرصة الامكان في دفع آفاته .

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي يأتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة. ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل . ثنى عنانه يجري ويجري من العسكر والعثير على السماء والأرض النيل والسيل . وعاد عابرا على صيدا وصرفند . وقد اورى فيهما باقتداح اقتراحه الزند . وجاء الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها . غير مكترث بأمرها . ولا متحدث في حصرها . ولا معتقد في تعقدها . ولا متئد في توردها . وعلم ايضا انها ممتنعة . وعن سومها مرتفعة . فعمل بالحزم وعمد الى العزم . ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب . ومزاولتها تتعب . وليس بالساحل بلد منها أحصن . فعطف الأعنة الى ما هو منها أهون . وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية . وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية . متى تمكن باعانتها من البلاد البقية . وعبر والعيون صدور الى صور . والمركيس ما شك انه بها محسور محصور . فلما أرخي من وثاقه . واتسع ضيق خناقه . حلق في مطار اوطاره . وحرك لغواته أوتار أوتاره . واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل . واتفقا على طي المراحل ونشر القساطل . وحل معاقد المعاقل . وسل قواصم القواصل . ونزل عسقلان . وشيدها قد لان . وقد آتاها الله الخذلان . فتجلد من بها على الحصار . وتخوفت أسودها الخادرة من الاصحار . وتربصوا وتصبروا . وتترسوا وتستروا . وحاصوا وصاحوا . وحاذوا وناحوا . وابلسوا واسبلوا . واعولوا مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا . وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت

واستقتلوا . وتعقدوا على الفتح وماتحللوا . واحزنوا في الاباء وما اسهلوا . وجهدوا وجهلوا . فأقام السلطان عليها مجانيق مجت نيقها . وفرجت بالحجار طريقها . ورجت بالتفريق فريقها . ووسعت بالتضييق ضيقها . وأضعفت بالتوثيق وثوقها . وجمع شمل الحجارة بـ (النار التي وقودها الناس والحجارة)(البقرة ٢٤)ولفحتهم نيرانها وتوالت عليهم بعد الشرارة . وخربت منهم العمارة . ووجبت بالجسارة منا لهم الخسارة . وتهدمت الصخور بالصخور . ولزم عبث بورهم بالثبور . وجسر الذقاب فحسر الذقاب . وباشر الباشورة فرفع الحجاب . واشتد القتال .واحتد المصال . وراسلهم عند ذلك الملك المأسور . وقال قد بان عذركم حين ذقب السور . وجرت حالات . وتكررت حوالات . وترددت رسالات . وقال لهم الملك الاسير . لا تخالفوا ما به اشير . واطيعوني ما استطعتم . واسمعوا مني اذا سمعتم . واحفظوا رأسي فهو رأس مالكم . وحلية حالكم . ولا تخطروا غيري ببالكم . فاني اذا تخلصت خلصت . واذا استنفذت استنقذت . وخرج مقدمون وشاوروا الملك . ونهجوا في التسليم نهجا سلك . وسلموا عسقلان على خروجهم بأموالهم سالمين . واستوفوا بذلك الميثاق واليمين . وذلك يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة . وتلألأت السعود في أوجها بالأوجه السافرة . وممن استشهد على عسقلان من الامراء الكبراء ابراهيم بن حسين المهراني وهو اول امير افتتح بالشهادة . واختتم بالسعادة . وكان السلطان قد أخذ في طريقه اليها: الرملة،ويبنى،وبيت لحم،والخليل . واقام بها حتى تسلم حصون الداوية:غزة،والنطرون،وبيت جبريل . وكان قد استصحب معه مقدم الداوية وشرط معه انه متى سلم معاقلهم اطلقه . فسلم هذه المواضع الوثيقة لما أخذ موثقه . واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان . على عسقلان . بشارة وبشارة . وراية وآية . وهيأة وهيبة . وثرة وثروه . وهزة وعده . وجدة وجده .وشد وشدة . وحد وحدة . وضوغه . وروعه . ونخوه . وسطوه . وصوت وصيت . ومصاعيب ومصاليت . ومساعير .

ومغاوير . ودهم . وذهم . وشهب وكمت وصلاب وصلاد . وانجاب وانجاد . وجلب ولجب • وبيض ويلب . وبيض وسود واساود وسود . وجرد . ومرد . وكهول . وفحول . ورقاق . وعتاق . وقود . واطلاب وابطال . وفوارس . ورجال . وخفاف وثقال . وعراب واعاريب . وسراحين وسراحيب . وحدلا يكل . وجد لا يمل . وجمر يتقى . وجمع لا يلتقي . ومعه رماة الاحداق كماة الاتراك . وهداة التوحيد عداة الاشراك . فقرت عينه بولده . واعتضد بعضده . ووضع يده بتأييد الله . في يده . وكان قد استدعى الاساطيل المنصورة فوافت كالفتخ الكواسر . بالفلك المواخر . وجاءت كأنها امواجا تلاطم امواجا . وافواجا تزاحم افواجا . تدب على البحر عقاربها . وتخب كقطع الليل سحائبها . وتجر بالذوابل ذوائبها . وتزاحم مناكب الاطواد مناكبها . والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدامها • وضرغام غابها وهمامها • فطفق يكسر ويكسب ويسل ويسلب . ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه . ويقف له في جزائر البحر على مذاهبه . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه . ويظهر في وقائعه حسن موقعه .

فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا . وبالعزم غالبا . والنصر مصاحبا ولنيل العز ساحبا . قد اصحب ريض مناه . واخصب روض غناه . واصبح رائج الرجاء . أرج الارجاء سيب العرف . طيب العرف . ظاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض بالفضاء فضاء . وملأ الملا فأفاض الآلاء . وقد بسط عتير فيلقه ملاءته على الفلق . وكأنما اعاد العجاج وأد الضحى جنح الغسق . فالأرض شاكية من اجحاف الجحافل • والسماء حاظية بأقساط القساطل • وسار سارا بالاحوال الحوالي . مروية